

# العرب والفرس قبل الاسلام

للدكتور عبد الوهاب عزام

كانهما حيتان ، فذعر لذلك واستدعى الأطباء فلم يهدوا في أمرهما الى دواء ، وكان الضحاك يحس لها وجعا . فتمثل الشيطان في صورة طيب وأشار على الامير أن يطلى السلعتين بأدمغة البشر ، ففعل وسكن الألم ، فدأب على ذلك لا يستريح الا أن يقتل بعض الناس فيدهن بدماعهم حيتيه .

وكان جمشيد ملك الفرس قد عتا وتجبر وادعى الألوهية ، ففرع الفرس الى الضحاك يستغيثونه ، فسار اليهم في جند كثيف وتعقب جمشيد حتى قتله . ثم تسلط على بلاد الفرس وسام الناس ألوان العذاب حتى ثار به جاوه الحداد ودعا الناس الى تمليك أفريدون . وحارب أفريدون الضحاك فهزمه ، ثم أخذه فقيده وسجنه على جبال دماوند . ويقال ان جاوه الحداد حيناً أزمع الثورة أخذ الجلدة التي كان يضعها على حجره حين طرق الحديد فعلقها في عصا وجعلها علم الثورة ، واتخذها الفرس من بعد لواء مقدسا سموه « العلم الجاوى » ( درفش كاويان )

وإذا نظرنا الى تواريخ الشهنامة وجدنا الضحاك يتملك على ايران قبل الميلاد بألفين وثمانمائة سنة : وذلك يوافق عهد الدولة البابلية . فان كان وراء هذه الأسطورة حقيقة فهي تسلط الساميين على ايران . ويؤيد هذا أن كتاب الأبيستاق يجعل مقر الضحاك مدينة بورى وهي بابل ، وكذلك نجد في نزهة القلوب للقزويني أن بابل كانت مستقر الضحاك ونمرود وقد أشار الى قصة الضحاك ابو تمام اذ قال :

ما نال ما قد نال فرعون ولا هاملان في الدنيا ولا قارون بل كان كالضحاك في سطواته بالعالمين وأنت أفريدون وافتخر أبو نواس بالضحاك في قصيدته التي يفخر فيها بقومه القحطانيين :

وكان منا الضحاك يعبده الـ خابل والجن في مساربها (١)  
٢ - وفي الشاهنامه وغيرها من الكتب العربية والفارسية أن أفريدون زوج أبناءه الثلاثة (تورا) و(سلبا) و(ايرج) من ثلاث بنات لملك من ملوك اليمن ، وأفريدون عند الآريين يشبه نوحا عند الساميين ، نسل من إبنائه الثلاثة خلق كثير ، فتور أبو ملوك نورن ، وإيرج أبو ملوك ايران وسلم أبو ملوك الروم ، فالصاهرة بين أفريدون وملك اليمن تجعل العرب أخوال كل من نسل من نبي أفريدون

٣ - وكذلك نجد في الاساطير الفارسية أن مهرباب ملك

١٠، انظر فصل الضحاك في الشاهنامه وتعليقاتها

سأجل في هذا المقال ، ما يعرفه التاريخ وترويه الأساطير من الصلات بين العرب والفرس قبل الاسلام ، وعسى أن يكشف التاريخ عن صلات أخرى بين الأمتين ، أو يبين عن حقائق تفسر بعض هذه الأساطير

ويمكن تقسيم الروايات الى قسمين : ما قبل العهد الساساني وهي أساطير ، وما بعده وهي تاريخ أو قريب من التاريخ

## قبل عهد الساسانيين

الأساطير تتفق عليها الكتب العربية والفارسية ، وأعظم مصادرها كتاب الشاهنامه للفردوسي ، ومنها :

### ١ - أسطورة الضحاك

وإجمالها أن الضحاك هذا كان ابن أمير عربي من امراء اليمن اسمه مرداس تمثل له الشيطان في صورة شاب صبيح وزين له قتل أبيه فقتله : ثم تمثل له في صورة طباح وأعلمه أنه حاذق في تجويد الأطعمة ، خبير بأصنافها ، فاتخذ الضحاك طباحا له فطبخ له اللحم ، وكان الناس من قبل لا يأكلونه ، فاستطاب الضحاك ألوان اللحم التي قدمها له طباحه فقربه وركن اليه .

ثم سأل الطباح سيده أن يأذن له في تقبيل كتفيه ، فقبلها ثم سآخ في الأرض فلم يعرف أثره ، ونبت على مذكبي الضحاك سلعتان

لعل اسابيع تقضيها - هي - في الريف ، في عزلة وتفكير ، ان تعدها لهذا العهد الجديد ، هذا العهد القاسي الشديد .

ونهضت مناسكة من سريرها . وسارت الى النافذة ففتحتها ، وجلست على كرسي صغير بجانبها . . . . . وجعلت تنظر الى الغيث وقد أخذ ينهمر مدرارا ، والى الرياح وهي تميله يمينا وشمالا . . .

ثم أخذ ينهمر على خديها مطر « غزير » لم يكن مما أسقطه السحاب ، أو دفعته الرياح . . . . .

والشمس من خلف الأفق تجرى لمستقرها ، والأرض ، ما برحت تدور حول محورها المائل المنحرف .

فيا عجبا لهذا الكوكب السخيف ! كيف آثر الانحراف على

الاعتدال ، والميل على الاستقامة ؟ محمد عوض محمد

كابل في عهد الملك منوچهر عربي من نسل الضحاك، وأن (زال) بن سام تزوج بنت مهراب فولدت له رستم بطل أبطال الفرس، فرستم اذن له خؤولة في العرب

٤ — ومن الروايات التي هي أقرب الى التاريخ مما تقدم حرب كيكائوس وملك هاموران (حمير) وأسر كيكائوس في بلاد اليمن، وتنازع أفراسياب ملك التورانيين والعرب على ملك ايران، ثم ذهاب رستم الى اليمن وتخليص كيكائوس. ويقول أبو نواس في القصيدة التي ذكرتها آنفا .

وقاظ (١) قابوس في سلاسلنا سنين سبعا وفت لجاسها وكان كيكائوس، في القرن العاشر قبل الميلاد في حساب الشاهنامه .

وفي بعض الكتب العربية أن ملك اليمن اذ ذاك كان ذا الأزرار ابن أبرهة ذي المنار بن الرائش

٥ — وما تقصه الروايات في هذا العهد عهد الكيانيين الحرب بين داراب وبين رجل عربي اسمه شعيب بن قتيب . وداراب هذا هو، في غالب الظن، داريوس أخوس (٤٢٤ — ٤٠٤ ق م) وأعظم الحوادث في عهد الساسانيين وهو أقرب الى التاريخ وكثير من حوادثه واقعات تاريخية :

### ب — بعمر الساسانيين

١ — قصة سابور الأول (٢٤١ — ٢٧٢ م) وملك الحضرة، وهو الضيزن بن معاوية القضاعي، أو الساطرون كما في بعض الكتب. وذلك أن الضيزن أغار على فارس وأسر أخت سابور أو عمته، فسار سابور اليه وحاصر الحضرة حتى استولى عليه بجيانه بنت الضيزن .

والحضر كان مدينة بالجزيرة الفراتية على أربعين ميلا من دجلة نحو الغرب ازاء تكريت، وعلى مائتي ميل الى الشمال من بغداد . ولا تزال أطلالها شاهدة بما كان من عظمها ومنعتها . ويقول الهمداني في كتاب البلدان :

« كانت مبنية بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها ، وكان فيها ستون برجا كبيرا . وبين البرج والآخر تسعة صغار » ويقول ياقوت :

« فاما في هذا الزمان فلم يبق من الحضرة الا رسم السور وآثار تدل على عظمه وجلاله . » وقد حاصره الامبراطور نرجان وسفريوس فلم يقدر عليه .

وقد روى ياقوت في قصة الحضرة شعرا لعدي بن زيد والأعشى وروى الطبري شعراً لأبي دؤاد الايادي (١) والشاهنامه تجعل الواقعة في زمن سابور ذي الأستاف ونحط بعض الحادثات ببعض .

٢ — ومن ذلك ما وقع بين أذينة ملك تدمر وسابور الأول أيضا: فقد أغار أذينة على جيش سابور وهو راجع مظفراً من حرب فلريان امبراطور الروم، فانهزم الجيش الفارسي وتعقبه أذينة الى أسوار المدائن، وقد اغتبط الروم بما فعل أذينة فاثابوه ولقبوه « اغسطس »

٣ — ومنه قصة سابور ذي الأكتاف (٣٠٩ — ٣٧٩) والعرب .

يروى أن بعض العرب أغار على بلاده فخارهم في خوزستان ثم عبر الخليج الى البحرين وجر والهامة، ثم سار الى الشمال فخارب بني بكر وغيرهم، وأنزل بعض القبائل غير منازلهم :

أنزل بني تغلب بدارين والخط

وبعض بكر بصحارى كرمان

وبعض عبد القيس ونميم في هجر والهامة

وبني حنظلة بالصحارى التي بين الاهواز والبصرة

ويقال انه سمي ذا الاكتاف لأنه خرق أكتاف الأسارى

من العرب ونظّمهم في الجبال

— وكذلك كانت أحداث بين العرب ولا سيما اباد وبين

سابور بن سابور ذي الاكتاف. ذكر بعضها المسعودي في

الجزء الاول من المروج. وفيها يقول بعض الشعراء :

على رغم سابور بن سابور أصبحت قباب اباد حولها الخيل والنعم

ويقول الحارث بن جنده (الهرمزان) :

هم ملكوا جميع الناس طراً وهم ربقوا هرقل بالسهود

وهم قتلوا أبا قابوس عصبا وهم أخذوا البسيطة من اباد

وتكثر الأحداث بين الفرس وقبائل الشمال عامة ولا سيما

ربيعة التي كانت تسمى ربيعة الأسود لجرأتها على الأكاسرة

٤ — والصلات بين أمراء الحيرة والفرس منذ نشأت الدولة

الساسانية في القرن الثالث الميلادي ليست في حاجة الى البيان،

فحسبي أن أذكر من الحوادث ما يبين عن مكانة المناذرة في دولة

الفرس وقوتهم :

عهد يزدجرد (٣٩٩ — ٤٠٢) الى المنذر الاول بربية

«١» انظر ياقوت. الحضرة، والطبري : سابور :

(١) قاظ الملك أقام .

ابنه بهرام فنشأ في الحبرة حتى بلغ الثامنة عشرة ، وتعلم الفروسية والرماية حتى صار مضرب المثل في الرمي بالشباب ، ثم رجع الى ابيه فغلبه الشوق الى الحبرة ، حتى توسل برسول ملك الروم الى ابيه ليأذن له في العودة الى الحبرة فبقي بها حتى توفي يزدجرد . وازمع اعيان الفرس الا يولوا من بني يزدجرد احداً . فأيد المنذر وابنه النعمان بهرام وامداه بالجند حتى ارغما الكارهيين على تمليكها .

وفي روايات الأدب الفارسي أن بهرام هذا أول من شعر بالفارسية ، أخذ الشعر عن العرب . وفي كتب الأدب شعر فارسي مروى عن بهرام ، وكذلك تروى الكتب العربية شعراً عربياً كما روى المسعودي في المروج :

أقول له لما فضضت جموعه كأنك لم تسمع بصولات بهرام فاني حامى ملك فارس كلها وماخير ملك لا يكون له حامى ويروى المسعودي أبيتا أخرى ويقول : « وله أشعار كثيرة بالفارسية والعربية أعرضنا عن ذكرها في هذا الموضع طلباً للإيجاز .

وقد حارب المنذر الرومان انتصاراً للفرس وهزم جيوشهم سنة ٤٢١ م ، وكذلك حاربهم المنذر الثالث ابن ماء السماء وتعبهم الى أطاكية حتى استنجد جستنيان الحارث الأعرج الفسافي ، فكانت وقائع بين الأميرين العربيين أسر فيها المنذر ابناً للحارث فقربه للعزى (صنم) وانتهت بقتل المنذر في موقعة عين أباغ أو يوم حليلة . ٥ - وفي عهد قباذ حينما اضطرب أمر الفرس بقتة مزدك أغار الحارث بن عمرو الكندي على الحيرة وأخرج منها المنذر ابن ماء السماء ، وصادف ذلك هوى في نفس قباذ فأيد الحارث . وبرى انه أرسله لحرب أحد تبابعة اليمن ، فلما ولى كسرى أنوشروان رد امرة الحيرة الى المنذر .

٦ - وفي عهد كسرى برويز حوالى ٦١٠ م كانت موقعة ذى قار ، وذلك أن كسرى برويز قتل النعمان أبا قابوس ، وطلب ودائعه عند هانئ بن مسعود الشيباني فأبى اسلامها ، وكان كسرى قد ولى اياس ابن قبيصة الطائي على الحيرة . فسار اياس في جموع من الفرس والعرب طيء وبهراء وايدوتغلب والنمر ، فلقبهم بنو شيبان في جموع من بكر ، ووقعت الحرب وتبادت ثلاثة أيام آخرها يوم ذى قار ، ودارت الدائرة على الفرس وأنصارهم .

وفي يوم ذى قار يقول ابو تمام يمدح ابا دلف الشيباني :

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها  
وزادت على ماوطدت من مناقب

فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم  
عروش الذين اسرهنوا قوس حاجب

ويقول مادحا بزهد بن مزيد الشيباني :

أولاك بنو الافضال لولا فعالهم  
درجن فلم يوجد لمكرمة عقب

لهم يوم ذى قار مضى وهو مفرد  
وحيد من الاشباه ليس له صحب

به علت صهب الاعاجم أنه  
به أعربت عن ذات أنفسها العرب

هو المشهد الفرد الذى ما يجابه  
لكسرى بن كسرى لاسنام ولا صلب

هذه صلات الفرس وعرب الشمال . وكان للفرس مع هذا سلطان على ساحل الجزيرة الشرقى واليمن :

حاول الحبش الاستيلاء على اليمن فى القرن الثانى الميلادى واتيح لهم أن يستولوا على بعض مدنه فى القرن الثالث ، ثم أخرجهم الجاهليون ، فلما تنصر الحبش فى القرن الرابع أهدم الرومان على الجاهلين ففتحوا اليمن سنة ٣٧٤ . ويظهر أن الفرس طمحووا الى اليمن منذ ذلك الحين ، فقد كان النزاع الذى شجري بينهم وبين الروم منذ قامت

الدولة الساسانية حرياً أن يلفت الفرس الى اليمن بعد أن تألب عليه أعداؤهم الألداء والحبش . ولسنا ندرى من أخبار الفرس فى

اليمن شيئاً قبل القرن السادس الميلادى اذ نهود تبع ذونواس وأكره النصارى على اليهود وعذبهم ، فغضب لهم الروم والحبش وأمد

الامبراطور جستنيان الحبش وسلطهم على اليمن ، حتى استغاث سيف بن ذى يزن كسرى انوشروان فأمدته بجيش حملته السفن فى

الخليج الفارسى الى عمان ، ثم سار فى البر وانحاز اليه أهل اليمن فهزموا الجيش ، وتولى الفرس البلاد وجعلوا عليها أميراً عربياً فقتله حرسه

الحبشى فاستقل بأمر البلاد ولاية من الفرس توالوا عليها حتى جاء الاسلام والوالى يومئذ باذان . وقد أسلم الفرس فى اليمن وأخلصوا

للاسلام وكانوا عوناً على الثائرين فى حروب الردة وهم قتلوا الأسود العنسى ، وعرف من رؤسائهم النعمان بن بزرگ وفيروز الديلمى

ومركبود ، وهو أول من حفظ القرآن فى صنعاء فيما يقال .

وكذلك كان للفرس سلطان على البحرين وجاء الاسلام فى اليمن فرس مستوطنون ومرزبان اسمه سيخت ، ويروى أن الرسول